الاحتفالات والمناسبات الدينية في مكة المكرمة في العصر العباسي

الباحثة: بيان رشيد العباسي
قسم: التاريخ والآثار

المستخلص:

تبحث هذه الدراسة والتي هي بعنوان " الاحتفالات والمناسبات الدينية في مكة المكرمة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ /٧٥٠-١٢٥٨م)" على عادات أهل مكة باستقبال والاحتفال بالمناسبات الدينية وتقاليدها المختلفة عن باقي المدن، وكيف ان في القرون الأولى الهجرية، لم يكن أمراء مكة وأهلها يعرفون سوى الاحتفال بأعياد المسلمين الرسمية وهما: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وكيف تأثروا بالفاطميين أصحاب المذهب الشيعي -أثناء نفوذهم على الحجاز- (٣٥٨هـ- ٩٦٨م/٥٦٧هـ-١١٧١م) وأصبحوا يحتفلون بمناسبات مختلفة؛ لم يعرفها المكيون من قبل.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين , سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين ، أما بعد : منطلقاً من أهمية مدينة مكة المكرمة هذه المدينة المقدسة في العالم الإسلامي والتي تتجه اليها النفوس المؤمنة للصلاة خمس مرات في اليوم وتهفو اليها القلوب قبل الأجساد مهبط الوحي ومركز العالم الإسلامي وقبلته و التي على ارضها ولد اشرف خلق الله وبعث شاهداً ومبشراً ونذيرا وبها البيت العتيق التي تتهافت اليه الانفس حجة وعمره من كل بقاع العالم منذ ان امر الله نبيه إبراهيم ان يأذن في الناس لكي يأتوها من كل فج عميق ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وعلى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (١)خير البلاد وأحبها إلى الله ورسوله ومن ذلك أن رسول الله قال: (وَاَللَّهِ أنكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ

(١) - قران كريم سورة الحج، اية رقم ٢٧

اللَّهِ إِلى اللَّهِ، وَلَوْلَا أني أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) [(١)] ولرغبة أبناء العالم الإسلامي وتهافت انفسهم لمعرفة ما كتب عن مكة، وعن أهلها، وعن عاداتها وتقاليدها الدينية والاجتماعية على مر الأزمان والعصور؛ وأهلها نبحث في هذه الدراسة عن جميع الاحتفالات والمناسبات الدينية في مكة المكرمة وكيف اختلفت وتطورت خلال العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ /٧٥٠-١٢٥٨م) واثناء النزاع الفاطمي الشيعي .

مشكلة الدراسة:

تعتبر منطقة مكة المكرمة قطب العالم الإسلامي، وقد ارتحل الرحالة من كل مكان لزيارتها، وكتبوا أفضل العبارات والأوصاف فيها، وجعل الله حب مكة متمكنًا في القلوب؛ فلا يزورها أحد إلا أخذت بمجاميع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفًا لفراقها متولهًا لبعاده عنها، وتتهافت الانفس رغبة في معرفة أحوال اهل مكة وعاداتهم وتقاليدهم من هنا تبدأ التساؤلات التالية: كيف استعد أهل مكة لشهر رمضان؟ وكيف استقبل المكيين عيد الفطر والضحى؟ كيف تأثر أهل مكة بالخلافة الفاطمية أصحاب المذهب الشيعي -أثناء نفوذهم على الحجاز- (٣٥٨هـ- ٩٦٨م/٥٦٧هـ- ١١٧١م) وأصبحوا يحتفلون بمناسبات مختلفة؛ لم يعرفها المكيون من قبل.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسلط الضوء على الاحتفالات أهل مكة واستقبالهم للمناسبات الدينية في مكة المكرمة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ /٧٥٠-١٢٥٨م).

مواد وطرق الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي العلمي والقائم على البحث عن المادة العلمية وجمعها واستخراجها من المصادر والمراجع والرسائل العلمية التي تدور

(١) الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) محمد بن عيسى الترمذي ابو عيسى، جامع الترمذي (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) , (القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م) ط٢. ج ٥ , ص ٧٢٢

في محيط البحث ومن ثم استخدام الأسلوب الوصفي والتحليلي للوصول إلى كيف احتفل واستقبل اهل مكة الأعياد الدينية خلال العصر العباسي

اما الخطة العلمية المتبعة لدراستنا والتي هي بعنوان "الاحتفالات والمناسبات الدينية في مكة المكرمة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ /٧٥٠-١٢٥٨م) " قسمت إلى ٣ فصول مسبوقة بمقدمة تناولت نبذه عن الموضوع ومشكلة الدراسة، وأهدافها، ومواد وطرق البحث.

– أما الفصل الأول فيعرض كيف كان دخول رمضان والاستعداد له عند اهل مكة وكيف استقبلوا شهر شوال وعيد الفطر، وكيف تأثروا بالفاطميين فيها.

–في الفصل الثاني افرد بالحديث عن عيد الأضحى وموسم الحج وأثره على أهل مكة وكيف كان يتم الاحتفال ببداية كل شهر من السنة الهجرية.

اما الفصل الثالث فكان الحديث عن جميع المناسبات الدينية الأخرى التي كانت تقام في مكة خلال العصر العباسي واختتمت بخاتمه ذكرت فيها اهم ما توصلنا اليه في هذا البحث

وأخيراً أسال الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إعداد دراسة علمية يستفاد منها ونأمل أن نكون وفقنا في تقديم صورة عامة عن "الاحتفالات والمناسبات الدينية في مكة المكرمة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ /٧٥٠-١٢٥٨م)" وما كان في البحث من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمنا ومن الشيطان، ونسأل الله العلي القدير أن يهدينا إلى سبيل الرشاد والهدى، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول:

- **دخول رمضان والاستعداد له:**

للأعياد والمناسبات الدينية في مكة المكرمة عاداتها وتقاليدها المختلفة عن باقي

المدن [١]. ففي القرون الأولى الهجرية، لم يكن أمراء مكة وأهلها يعرفون سوى الاحتفال بأعياد المسلمين الرسمية وهما: عيد الفطر، وعيد الأضحى [٢].

إلا أن أنهم أصبحوا يحتفلون بمناسبات مختلفة؛ وما ذاك إلا بسبب تأثرهم بالفاطميين أصحاب المذهب الشيعي –أثناء نفوذهم على الحجاز– (٣٥٨هـ-٩٦٨م/٥٦٧هـ-١١٧١م) [٣]، فقد قام الفاطميون بنقل عاداتهم وتقاليدهم ومذاهبهم وتراثهم إلى المنطقة؛ فاستحدثوا فيها احتفالات لم يعرفها المكيون من قبل.

كان الفاطميون يحتفلون بمناسبات متعددة [٤]، وتأثر أهل مكة بالكثير من أعيادهم وسيظهر ذلك جليًّا فيما يلي:

إن من أهم المناسبات الدينية للمجتمع الإسلامي كافة، وأهل مكة خاصة؛ شهر رمضان، واسم رمضان: مشتق من كلمة الرمضاء؛ أي: شهر الحر [٥]، وفي هذا الشهر نزل القرآن الكريم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة [١٨٥] [٦]

---

(١) العادات والتقاليد: هي أنماط السلوك الجمعي التي تنتقل من جيل إلى جيل، وتستمر فترة طويلة حتى تثبت وتستقر، وتصل إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة بها. بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلح العلوم الاجتماعية، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م) ص٩٤، ٤٢٨.

(٢) فعندما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ': "إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر". سنن أبي داود. ج١، ص٢٩٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٦٤. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٠٦. السباعي: أخبار مكة، ج١، ١٩٠-١٩١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص١٨٩-٢٠٠.

(٤) مثل: موسم رأس السنة، وموسم أوَّل العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبيِّ ﷺ ، ومولد عليِّ بن أبي طالب ¢، وفاطمة الزهراء، ومولد الحسن والحسين عليهما السلام، ومولد الخليفة الحالي، وليلة أوَّل رجب، وليلة نصفه، وليلة أوَّل شعبان ونصفه، ليلة رمضان، وغُرَّة رمضان، وسماط رمضان، وليلة ختم القرآن، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، والعديد من الأعياد الدينية والاجتماعية، والأسمطة: هي الموائد التي تحتوي على ما لا يقل عن ألف صحن من أنواع الطعام والحلوى، وتمتاز بتزيين أطراف المائدة بأبراج الحلوى والزينة. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٣٦. اتعاظ الحنفاء، ج١، ص٢٨٣، ج٢، ٣٧- ١٦٧، ج٣، ٦٠- ٣٤٣. ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧٩-١٠٤.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج١، ص١٥٨.

(٦). سورة البقرة، آية رقم: ١٨٥.

وجميع الكتب السماوية من قبله [(١)]، وفيه أعظم الليالي، ليلة القدر؛ التي يكون العمل فيها خير من ألف شهر، وهو شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران والصدقات والإحسان، وهو الشهر التاسع في التقويم الإسلامي، ولهذا الشهر الكريم فضائل وخصائص ميزته عن غيره من الشهور؛ ففيه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين، وصيامه يكفر الذنوب، والعمرة فيه تعادل حجة [(٢)]. يبدأ استعداد المكيين في استقبال شهر رمضان من شعبان؛ بشراء وتخزين الأطعمة

التي يحتاجونها طيلة الشهر، وأهمها: الدقيق والأرز، والسكر [(٣)].

وليلة هلال رمضان؛ تضرب الطبول فرحاً بأمر من أمير مكة، ويتم الاحتفال في المسجد الحرام، وتستبدل الحصر القديمة بأخرى جديدة، ويزاد عدد الشموع والمشاعل؛ حتى يتلألأ الحرم نورًا، ويسطع بهجة وإشراقًا [(٤)].

وبعد صلاة المغرب في كل يوم من شهر رمضان المعظم، يقوم مؤذن الحرم بالدعاء لخليفة المسلمين، ثم الدعاء لأمير مكة وسط تأمين الحضور والمصلين [(٥)].

وحين يحين موعد صلاة التراويح [(٦)]؛ يجتمع أهل مكة في المسجد الحرام على اختلاف مذاهبهم، وكل جماعه تصلي خلف إمامها؛ فترى الشافعيين والحنابلة والزيديين والمالكية، وكل فرقة تنافس الثانية؛ في إحضار أجمل وأفضل الشموع فيُضَاء الحرم كافة، ويتنافسون في أجمل أصوات قراء القرآن، ورغم أن كثيرًا ما كان

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص١٦. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص٤٥.
(٢) صحيح البخاري: ج٣، ص٣-٤٤. صحيح مسلم، ج٢، ص٧٥٨- ٨٢٩. سنن أبي داود، ج٢، ص٤٩. سنن الترمذي، ج٣، ص٥٧-٢٦٧. .
(٣) الزويد: هدى فهد: التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٣٢٨.
(٤) الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٧٦. ابن جبير: الرحلة، ص١٢٢. التجيبي: المستفاد، ص٤٦١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٦-١٢٧. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٦٢.
(٥) التجيبي: المستفاد، ص٣٠٤- ٣٠٨.
(٦) وهي تعتبر نوعًا من أنواع قيام الليل، إلا أنها خاصة بشهر رمضان، وتقام بعد صلاة العشاء، وهي سنة عن الرسول ﷺ -عليه الصلاة والسلام-، وعدد ركعاته مختلف فيه؛ فقيل: عددها ثماني ركعات، وقيل: عشرون، وقيل: ست وثلاثون، وغيره. البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص٢٦، ٤٤ مسلم: صحيح مسلم، ج١، ص٥٣٢.

يحدث الخلط بينهم عند الصلاة؛ بسبب رفع أصوات الأئمة والذي يُؤدي أحيانًا إلى عدم سماعهم من قبل المصلين، ويحدث الخلط بين المصلين؛ فيركع المالكي بركوع الشافعي، ويسجد الحنفي بسجود الحنبلي.

وظل الحال على ذلك إلى أن صدر أمر السلطان الناصر فرج المملوكي (٧٩١-٨١٥هـ/١٣٨٩-١٤١٢م) [١] عام (٨١١هـ/١٤٠٩م) بأن يصلي الشافعي بالجميع، وعند الانتهاء من صلاة التراويح تضرب بالفرقعة ثلاث مرات ثم ينصرف الناس بعدها [٢].

وعندما يحين وقت السحور [٣]، يتولى المؤذن الدعوة له في مئذنة الحرم التي تقع بالركن الشرقي من الحرم، فيقوم داعيًا ومذكرًا ومحرضًا عليه، فيقول: "أيها النائمون اصحوا، اذكروا الله الذي سخر الرياح، إن جيش الليل قد انسحب، وجيوش الصباح تشعشع، أسرعوا بالشرب فقد حان موعد الصباح".

وكذلك يفعل المؤذنون في سائر المآذن، وقد نصبت في أعلى كل مئذنة خشبة عُلق فيها قنديلان كبيران من الزجاج موقدان، فإذا قرب الفجر وابتدأ المؤذنون بالأذان أقلع الناس عن الأكل، فمن بعدت داره؛ بحيث لا يسمع الأذان، يبصر القنديلين المذكورين فيتسحر، حتى إذا لم يبصرهما أقلع عن الأكل، وهناك بعض الرجال الذين يطلق عليهم: المُسَحِّرُون الذين يقرعون طبولهم أمام البيوت؛ ليساعدوا في إيقاظ الناس قبل الإمساك [٤].

---

(١) هو الناصر فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر)، من ملوك الشراكسة بمصر والشام. بويع بالقاهرة عام ٨٠١ه بعد وفاة أبيه. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٤٠ *.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٥٥-٢٠٤. ابن جبير: الرحلة، ص١٢٢. التجيبي: المستفاد، ص٤٦٠-٤٦١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٦-١٢٧. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٦٢. المالكي: بلاد الحجاز، ص١٢٢.

والفرقعة: عبارة عن عود مخروط أحمر، في رأسه مرس من الأديم المفتول (من الجلد) رقيق طويل في طرفه عذبة صغيرة ينفضها الإنسان بيده في الهواء؛ فتأتي بصوت عالي. ابن جبير: الرحلة ،٧٢-٧٣. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص١٠*.

(٣) ونقصد بذلك: وقت الوجبة التي يتناولها الناس قبل الإمساك عن الطعام، وحكمه مستحب للصائم، وأمر الرسول ﷺ بها؛ لأن فيها بركة. البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص٢٩. مسلم: صحيح مسلم، ج٢، ص٧٧٠. الترمذي: سنن الترمذي، ج٣، ص٧٩.

(٤) الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٥٥-٢٠٤. ابن جبير: الرحلة، ص١٢٣. هورخرونيه، سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية: علي الشيوخ، تحقيق: محمد السرياني ومعراج مرزا، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ١٤١٩ه/١٩٩٩م)ج٢، ص٣٨٨.

أما إحياء الليالي الوترية في العشر الأواخر من رمضان، كانت من الأعمال المندوبة، وكان لأهل مكة عناية خاصة بها؛ فيحتفلون بحفظة القرآن، ويحضر تلك الليلة القاضي والفقهاء وجماعة من العلماء، وتلقى الخطب الدينية بِحثّ الناس على الطاعات وتذكيرهم بها، وهناك قراء يختمون القرآن يوميًّا في جميع زوايا الحرم، ويمتازون بجمال أصواتهم وحسنها وبهائها(١).

ومن العادات، أن يحضر أمير مكة وشريفها في هذه الأيام، فيدخل مع حاشيته وحرسه وأتباعه، والطبول تدق فرحاً من خلفه، والناس في المسعى في زحام؛ لمحاولة السلام عليه، أما البعض الآخر؛ فيرفعون الأكف بالدعاء له(٢).

وفي ليلة الثامن والعشرين من رمضان، يحتفل أهل مكة احتفالًا أعظم من احتفالهم بسائر الليالي؛ فيتم ختم القرآن العظيم خلف المقام الكريم، وتُشعل الشموع على قبة زمزم، وتُوقد قناديل الزجاج، ويوزعون الأطفال على شرفات الحرم؛ لإيقاد المشاعل فيرددون بصوت واحد قائلين: يارب يارب، ويتقدم الإمام فيصلي صلاة العشاء قارئًا سورة القدر، ويكون باقي الأئمة قد ختموا القرآن في الليلة السابقة، وتقام الصلاة خلف إمام واحد، ثم يدعو بهم دعاء ختم القرآن، ثم يخطب فيهم خطبة يذكرهم فيها بأهمية ليلة القدر، ويختم خطبته بالدعاء للخليفة والأمير، ثم يجتمع الأئمة الخمسة يتناظرون ويتدارسون علوم القرآن، ومعهم الصبية يستمعون إلى تلك المناظرات والدروس(٣).

ومن عادات أهل مكة في شهر رمضان؛ صنع حلوى على أشكال وصفات كثيرة، وأغلبها على شكل فواكه، وتقام الموائد المليئة بهذه الحلوى بين الصفا والمروة، وفي كل يوم من شهر رمضان وعند الانتهاء من كل صلاة، بما في ذلك: صلاة التراويح،

---

(١) الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٥٥-٢٠٤. ابن جبير، الرحلة، ص١٢٧-١٢٨. التجيبي: المستفاد، ص٤٦٠-٤٦١.
(٢) التجيبي: المستفاد، ص٣٠٥.
(٣) ابن جبير: الرحلة، ص٩٨- ١٢٢. التجيبي: المستفاد، ص٤٦٠-٤٦١. ابن بطوطة: الرحلة، ١٢٦-١٢٧. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٣٩-٤٤٠. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٦٢-١٦٣. المالكي: بلاد الحجاز، ص١٢٤-١٢٥.

والشفع والوتر تضرب بالفرقعة ثلاث مرات، ثم ينصرف الناس بعدها من المسجد الحرام [(١)].

ويظهر مما سبق، مدى تأثر أمراء مكة وأهلها بعادات الفاطميين بمصر في شهر رمضان، واستقبال الشهر؛ بخروج الخليفة في موكب رسمي، وتضاء المساجد، ويتبارى القراء في تلاوة القرآن بأصوات طربية، ويتبعهم المؤذنون بالتكبير وذكر فضائل السحور، ويأتي بعدهم دور الوعاظ في ذكر فضائل شهر رمضان، ويسهبون في مدح الخليفة وكرمه، ويستمر الاحتفال الديني إلى منتصف الليل، هذا إلى جانب تأثر المكيين بهم؛ في مد المساجد بالموائد المليئة بالأطعمة والحلويات، والتي تباح لمن يريد [(٢)].

استقبال شهر شوال وعيد الفطر عند الأسر المكية

سُمي شهر شوال بهذا الاسم؛ من: شالت الإبل أذنابها؛ إذا حالت، أو من: شال يشول؛ إذا ارتفع [(٣)]، والعيد في اللغة: هو إعادة الأمر أكثر من مرة، وجمعه: أعياد، وسمي العيد عيدًا؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد [(٤)].

وفي الليلة الأخيرة من رمضان، التي تكون ليلة عيد الفطر؛ تُزين الأسواق ما بين الصفا والمروة، وتُضرب الطبول إلى الصباح، ويقوم المكيون بإيقاد المشاعل، وإسراج المصابيح، وإشعال الشمع على نحو فعلهم في ليلة السابع والعشرين من رمضان، وتوقد السُرُج في المآذن من جميع الجهات، ويوقد سطح الحرم كله، ويقيم المؤذنون ليلتهم في تهليل وتكبير وتسبيح، والناس ما بين طواف وصلاة وذكر ودعاء. وبعد صلاة الصبح يعودون إلى منازلهم؛ استعدادا للخروج إلى

---

(١) ابن جبير: الرحلة، ص١٢٢. التجيبي: المستفاد، ص٤٦٠-٤٦١. ابن بطوطة: الرحلة، ١٢٦-١٢٧. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٦٢-١٦٣.
(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٣٨–٤٤٠. صبحي عبد المنعم: العلاقات بين الحجاز والفاطميين، ص٢٤٥.
(٣) النويري: نهاية الأرب، ج١، ص١٥٨.
(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٣١٩. أحمد مختار: معجم اللغة العربية، ج٢، ص٥٧٢.

صلاة العيد في المسجد الحرام، وأول من يبكر إلى المسجد: الشيبيون؛ فيفتحون باب الكعبة المقدسة ويقعد كبيرهم في عتبتها، وبقيتهم حوله إلى أن يأتي أمير مكة فيتلقونه ويطوف بالبيت سبعًا، والمؤذن فوق سطح قبة زمزم رافعًا صوته بالثناء عليه والدعاء له[(١)].

أما العامة من الناس؛ فيَلبس رجالهم الجديد من الثياب وأحسنها، ويخرجن النساء بكامل زينتهن وبِيَدِهن المراوح، ثم يتجه الجميع إلى المسجد الحرام؛ للطواف أولا، ثم أخذ مجالسهم بالحرم الشريف؛ استعدادًا لصلاة العيد، ثم يأتي الخطيب بين الرايتين السوداوين وهو لابسٌ السواد، فيصلي صلاة العيد خلف المقام الكريم، ثم يصعد ويخطب خطبة بليغة، حتى إذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة، ثم يقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجا، ثم يخرجون إلى مقبرة المعلاة؛ لزيارة الأموات من الصحابة والتابعين؛ تبركًا، ثم ينصرفون[(٢)].

ومن عادات أهل مكة؛ زيارة بعضهم البعض بالنهار أيام العيد الأربعة، وتناول الأطعمة والحلويات، وخَصَّص المكيُّون لليالي العيد مزوالة الألعاب مثل: الشطرنج، وسباق الخيول، وإنشاد الشعر، والرقص على قرع الطبول[(٣)].

- **عيد الأضحى وموسم الحج واثره على أهل مكة.**

والحج لغة: القصدُ إلى كلِّ شيء، فخصَّه الشرع بقصد معيَّن ذي شروط معلومة، أو القصد إلى الشيء المعظم، وقيل: الزيارة وقصد مكة للنسك، أما اصطلاحًا: القصد لبيت الله تعالى بصفةٍ مخصوصةٍ، في وقت مخصوصٍ، بشرائطَ مخصوصةٍ[(٤)]، والقيام بأداء هذه الفريضة له أجر عظيم، فقال رسول الله ﷺ: "من حج هذا

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٠٠ . ابن جبير: الرحلة، ص١٣٣-١٣٤. التجيبي: المستفاد، ص٣٦٣-٣٦٤. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٧-١٢٨.
(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٠٠. ابن جبير: الرحلة، ص١٣٣-١٣٤.
(٣) المالكي: بلاد الحجاز، ص١١٦.
(٤) القحطاني : مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، ص٧٧.

البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"[١]، وقال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"[٢].

كان سكان مكة يستعدون لأعمال الحج، وما ينبغي تقديمه من خدمات لحجاج بيت الله الحرام القادمين من مختلف أقطار العالم الإسلامي، سواء في مكة نفسها، أو في المشاعر المقدسة.

فبمجرد أن يُقبل أول أيام شهر ذي الحجة؛ تضرب الطبول في أوقات الصلوات نهارًا وليلًا؛ إشعارًا بحلول الموسم، ويستمر إلى يوم الصعود إلى عرفات، ويستقبل أهل مكة رجالهم ونساءهم وأطفالهم، بكل فرح مَحمَل الحج القادم من العراق، أو القاهرة، والمحمل بالهدايا والصدقات، وكانوا يرحبون بالحجاج القادمين، بل إن أطفالهم كانوا يتدربون ويقومون بحفظ الأدعية والأذكار، ومسالك أحياء وشوارع مكة ومشاعرها؛ ليُعلموا الحجاج المناسك، ويكونوا لهم أدِلَّاء في الطرق[٣].

كان خطيب الحرم يخطب في اليوم السابع من شهر ذي الحجة بعد صلاة الظهر خطبة للحجاج المتوافدين من جميع أنحاء العالم؛ يشرح لهم فيها مناسك الحج، وما يجب عليهم فعله في يوم الوقفة، وفي مِنَى إلى نهاية أداء الفريضة، وبعدها يبدأ الحجاج في أداء شعائر الحج حتى نهايتها، ويُضَحُّون أضحيات العيد بعد رميهم الجمارات بمني[٤]، ومَن لم يحج من أهل مكة، كان يتجرد من ملابسه

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص١١. صحيح مسلم، ج٢، ص٩٨٣. سنن الترمذي، ج٣، ص١٦٧.
(٢) صحيح البخاري، ج٣، ص٢. صحيح مسلم، ج٢، ص٩٨٣. سنن الترمذي، ج٣، ص٢٦٣.
(٣) ابن جبير: الرحلة، ص١٤٨. السبتي: ملء العيبة، ص٨٠ . العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة، ص٢٨٦.
(٤) صبحي عبد المنعم: العلاقات بين الحجاز والفاطميين، ص٢٤٨.
* ومِنَى: إحدى مشاعر الحج الخارجة عن مكة، وسميت بذلك؛ لما يمنى فيها من الدماء أي يراق. وبينها وبين مكة ثلاثة أميال، وهي تشبه القرية، مبنية على ضفتي الوادي. وبها مسجد الخيف، وهو مسجد عظيم متَّسع الأرجاء بغير سقف. الفاكهي: أخبار مكة، ج٤، ص٣١١. ج٥، ص٦-٣٣ *.

ويلبس الإحرام تشبهًا بالحجاج[١]، ويحتفل بليلة عرفة عند جبل يتوسطها يطلق عليه: (إلال) فيوقدون الشمع بطوله، وتُنصب فيه رايات أمراء الركب وقد صُنع له درجٌ من أمامه وخلفه، فيلتقي الصاعدون والنازلون وهو يتأجج نورًا بالشموع، ويتموج كالبحر، وقيل في وصف تلك الليلة:

يا ليلة في إلال | يا حسنها بين الليالي
عدد النجوم شموعها | قد نظمت نظم اللآلي[٢]

ولموسم الحج أثر اجتماعي عظيم على أهل مكة؛ فتراهم يمتزجون مع الأجناس القادمة إلى مكة للحج، فيتصاهرون ويتاجر بعضهم مع البعض الآخر، ومن خلال ذلك؛ تتقارب الطباع، وتلتقي الأرواح، وبتلك المصاهرات والمشاركة في البيع والشراء؛ تتمازج الطباع، ويتزايد التأثير، فترى في أهل مكة "وداعة الأناضولي، وغلظة التركي، واستكانة الجاوي، وكبرياء الفارسي، ولين المصري، وصعوبة الشركسي، وسكون الصيني، وحِدَّة المغربي، وبساطة الهندي، وحركة السوري، وكسل الزنجي، ولون الحبشي"[٣]؛ فتباينت فيهم صفات الرقة والخشونة.

وكما كان للحج أثرٌ اجتماعيٌّ، فإن له أثرًا اقصاديًّا كبيرًا؛ فهو الموسم الأساسي لأهل مكة، وهو أحد مصادرها في الدخل؛ فلا ينتعش اقتصاد أسواقها إلا في الحج، فما يأخذه أمراء الحرمين الشريفين من المكوس والضرائب والرسوم التي تجبى من الحجاج والتجار، وما ينفقه الحجاج في مواسم الحج، هذا إلى جانب ما ينفقه الخلفاء والسلاطين، وكبار التجار والمحسنون من الهبات والصدقات التي تعتبر المصدر الأساسي، والوسيلة الأساسية لمعيشة سكانها[٤].

---

(١) الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٣٣٥. خسرو: سفر نامة، ص١٣٦. السبتي: ملء العيبة، ص٨٧. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٨. بدرشيني: مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن، ص٣٥٢.
(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص١٩٥.
(٣) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٤٢.
(٤) ابن جبير: الرحلة، ص٩٧ -١٦٠. المالكي: بلاد الحجاز، ص٨٨، ٩٦. سليمان صالح: إمارة الحج، ص٢٥٤. الخالدي: الحج وتأثيراته، ص٣٩٢. بدرشيني: مكة والمدينة في كتب الرحالة، ص٢٩٠.

ويصف ابن جبير انتعاش الاقتصاد بمكة في موسم الحج بقوله: "ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم؛ ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب، فيباع فيها في يوم واحد، فضلًا عما يتبعه، من الذخائر النفيسة كالجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار، ومن أنواع الطيب: كالمسك والكافور، والعنبر والعود، والعقاقير الهندية، إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة، إلى الأمتعة العراقية واليمانية، إلى غير ذلك من السلع الخراسانية، والبضائع المغربية، إلى ما لا ينحصر ولا ينضبط، ما لو فرق على البلاد كلها؛ لأقام لها الأسواق النافقة، ولعمّ جميعها بالمنفعة التجارية، كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم، حاشا ما يطرأ بها من طول الأيام من اليمن وسواها؛ فما على الأرض سلعة من السلع ولا ذخيرة من الذخائر إلا وهي موجودة فيها مدة الموسم[١].

وأغلب أسواق مكة في موسم الحج وغيره، كانت حول المسجد الحرام وتحيط به حتى أصبحت بعض أبواب الحرم تسمى بما بجانبها من المحلات[٢].

فيصف ناصر خسرو أسواق مكة في رحلته بقوله: "وبمجرد النزول من جبل الْمَرْوَة؛ تجد سوقًا فِيهَا عشرُون دُكانًا متقابلة، وبجانبها سوق كبير اسمه: سوق العطارين"[٣].

أما ابن بطوطة فيشير إلى تلك الأسواق بقوله: "وبين الصفا والمروة مَسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه، والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون؛ لازدحام الناس على حوانيت الباعة، وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه إلا البزّازون والعطارون عند باب شيبة، وبين الصفا والمروة"[٤].

(١) ابن جبير: الرحلة، ص٩٧.
(٢) للمزيد عن معرفة عدد أبواب المسجد الحرام، وصفتها وأماكنها. انظر: الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٨٧-٩٥. الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٨٨-١٩٨. المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص٧٣. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ٣١٨-٣٢٠.
(٣) خسرو: سفر نامة، ص١٢٣.
(٤) ابن بطوطة: الرحلة، ١٠٧.

وأما الأسواق الأخرى، فكانت تقام في مشاعر الحج في منى وعرفات، وتحتوي على العديد من البضائع وألوان الأطعمة والمجوهرات، وجميع ما سبق في الأسواق المجاورة للحرم، ووصفها ابن جبير بقوله: "ومنى في تلك الأيام من أعظم الأسواق؛ يباع فيها الجوهر النفيس، إلى غير ذلك من الأمتعة وسائر سلع الدنيا؛ لأنها مجتمع أهل الآفاق"(١).

وفي موسم الحج، تفتح الكعبة الشريفة، وتكثر الصدقات على المجاورين وأهل مكة بالذهب والفضة لدرجة أن يرخص سوم الذهب بمكة؛ لكثرة من يتصدق به، بل وحتى النائمون في مرافق المسجد الحرام كانت تصلهم قطع الذهب والفضة فتوضع في أفواههم وبجانبهم(٢).

مما سبق نرى كيف أن موارد مكة واقتصادها كان يعتمد في أغلبه على ما ينفقه الحجاج في موسم الحج من أموال، أو من التجارة وتبادل السلع، أو من الصدقات التي تُعطى لأهل مكة ومجاوري بيت الله الحرام، ولذلك أيُّ تَعطُّل في الموسم، أو انقطاع للحجاج كان له تأثير على مكة تأثيرًا شديدًا؛ لأن انقطاع التجارة والبضائع كان يؤدي إلى زيادة الغلاء، وقلة الأرزاق، وكثرة المجاعات التي كان من نتائجها هجرة أهل مكة إلى مصر وغيرها، وعلى العكس من ذلك حين يستمر قدوم الحجاج؛ فتكون النتيجة زيادة الرخاء الذي يعم مكة وقتها.

الاحتفال ببداية كل شهر من السنة الهجرية

كان الفاطميون يميلون إلى مظاهر الترف في مجالسهم ومواكبهم وكثرة احتفالاتهم، ومن ذلك عاداتُهم بالاحتفالات في رأس السنة الهجرية، فكان الخليفة الفاطمي يخرج في يوم الاحتفال في موكب كبير، ويرتدي أفضل أنواع الخلع الثمينة، ويخرج معه مائة فارس على خيولهم ومعهم أسلحتهم، أما صبيان الركب فكانوا

* والبزازون: مفردها: بزاز، ويعنى بها؛ بائع الثياب والأقمشة. مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص٢٠١*.
(١) ابن جبير: الرحلة، ص١٥٧.
(٢) ابن بطوطة: الرحلة، ص١٣١.

يحيطون بالخليفة مع الأسلحة المزينة بالذهب والفضة، بالإضافة إلى الطبول الضخمة التي تحمل على البغال، عليها رجال حاشية الخليفة، وسروجها مزينة بالذهب والفضة، وفي أعناقها أطواق من الذهب وقلائد العنبر، ثم تُمد مائدة كبيرة تحتوي على أنواع كثيرة من الأطعمة والحلوى، ويحضر تلك المائدة كبار رجالات الدولة والاعيان[١].

انتقلت عادات الفاطميين السابقة إلى أشراف مكة وزادوا عليها، ويظهر ذلك جليًّا في احتفالهم باستهلال الشهور الهجرية؛ ففي بداية كل شهر هجري تضاء مكة كافة، والمسجد الحرام خاصة بكل بالشموع والقناديل الذي بلغ عددها خمسمائة قنديل إلى جانب الكثير من الثريات[٢].

ويدخل شريف مكة إلى المسجد الحرام، وهو محاط بالحاشية والحرس من باب النبي ﷺ ، متقلدًا سيفه بكل سكينة ووقار، وبعدها يتجه إلى الكعبة للطواف بها، يتقدمه الخدم الذين يقومون بفرش سجادة؛ ليصلي عليها الشريف ركعتين عند مقام إبراهيم، ثم يتجه إلى الحجر الأسود فيقبله، ثم يشرع بعد ذلك في الطواف، وعند إكماله شوطًا من الطواف يرتفع صوت رئيس المؤذنين من أعلى قبة زمزم داعيًا للأمير بقوله: "صبح مولانا بسعادة دائمة، ونعمة شاملة"، مع تهنئة الأمير بكلام جميل ومدحه بأبيات من الشعر، ثم يكمل الأمير طوافه ويستمرون على ذلك حتى ينتهي من السبعة أشواط، وعندها يصلي ركعتين عند المُلتَزم، ثم ركعتين خلف المقام أيضًا، ثم ينصرف، ويفعل مثل هذا إذا ذهب أو قدم من سفر، أما أهل مكة فمع بداية كل شهر من شهور العام يتصافحون ويهنئون ويتغافرون ويدعون[٣].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٣٦. صبحي عبد المنعم: العلاقات بين مصر والحجاز، ص٢٤١-٢٤٢.
(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٩٨، ١٧٢. الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٧٦ -٢٠٥. الفاسي: شفاء الغرام، ج، ص٣١٣. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٩٣ . ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٥٥.
(٣) ابن جبير: الرحلة، ص٧٤-١٠١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٣.

أما في شهر ربيع الأول؛ فيحتفل أهل مكة بولادة الرسول ﷺ[١]، وهو يوم مشهود، ففي ظهر يوم الحادي عشر من ربيع الأول تُطلق المدافع إعلانًا بهذه المناسبة، وفي ليلة مولد الرسول ﷺ الثاني عشر من ربيع الأول؛ يُفتح باب الكعبة الشريفة، ويدخل الناس فيها بأعداد كبيرة جدًّا، فالنساء والأطفال يرتدون الثياب ذات الألوان المطرزة بالذهب والفضة والحلي، أما أسواق الحرم فتمتلئ بالألعاب وأصناف الحلوى المهيئة لهذه المناسبة.

وفي يوم مولد الرسول ﷺ ، يقوم قضاة مكة بإطعام الفقراء وخدام الحرم الشريف، وتُضاء مصابيح المسجد الحرام، ثم يجلس الإمام ويقرأ عليهم قصة المولد، وبعد الانتهاء من ذلك يقوم الشريف مع حاشيته وخدم المسجد بالمشي بخطى وئيدة وهم يحملون القناديل المضيئة، وخلفهم حشد كبير إلى المكان الذي ولد فيه الرسول ﷺ[٢]، وأمام هذا الموكب يسير رئيس المؤذنين ينشدون الأناشيد في مدح الرسول ﷺ الكريم، وعند الوصول إلى مكان الميلاد يقرؤون شيئًا من سيرته[٣].

ومن عادات أهل مكة أيضًا؛ الاحتفال بيوم مولد والدته السيدة آمنة، وبيوم ولادة زوجته السيدة ميمونة في منتصف شهر صفر لأنها دفنت بمكة المكرمة بالزاهر، فكانوا يقيمون خيامهم هناك، ويتناولون الطعام والشراب، ويقولون حول ميمونة وحول النبي ﷺ[٤] واستمر احتفالهم بهذا اليوم إلى وقتنا الحاضر؛ فقبل موعد الاحتفال

(١) وقد اختلف المؤرخون وكتاب السيرة في يوم مولده ﷺ ؛ فمنهم من جعله في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، ومنهم من جعله في صبيحة الاثنين التاسع من ربيع الأول عام الفيل. ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٥٢. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٩٢.

(٢) ولد الرسول ﷺ ، في شعب بني هاشم. الفاكهي: أخبار مكة، ج٤، ص٥-٧. الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٢٦٣. وفي الوقت الحاضر، بني مكان الدار مكتبة مكة المكرمة.

(٣) ابن جبير: الرحلة، ص٩٢، ١٤١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٠١، ١١٤. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٤٦. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٨٤. البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٥١. هورخرونيه سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٥.

(٤) الفاكهي: أخبار مكة، ج٥، ص٥٤-٦١. ابن جبير: الرحلة، ص٩٢، ١٤١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٠١، ١١٤. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٨٤. البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٥١. سنوك هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٥.

* وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، من قريش: أم النبي ﷺ كانت أفضل امرأة في قريش نسبًا ومكانة. امتازت بالذكاء وحسن البيان. توفيت عام ٤٥ق. ه/٥٧٥م بموضع يقال له: (الأبواء) بين مكة والمدينة، ولابنها من العمر ست سنين، وقيل أربع. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٥٣٢، ج١٠، ص٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٤٦. الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٥-٢٦*.

* وهي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية: آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ وآخر من مات من زوجاته. كان اسمها: (برة) فسماها (ميمونة)، بايعت بمكة قبل الهجرة. روت عنه ٧٦حديثًا. وعاشت ٨٠ عام. وتوفيت في (سرف)، وهو الموضع الَّذي كان فيه زواجها بالنبيّ ﷺ

بأسبوع، تبدأ التجهيزات لهذه المناسبة، فيقومون بتجميع المال اللازم للرحلة، ويستأجرون الخيام والفرش والسجاد والجمال وأدوات الطبخ والفواكه واللحم؛ لأن موضع ذلك الاحتفال غير أهل بالسكان، وبعد نصب الخيام؛ يقومون بزيارة ضريح السيدة ميمونة، ويقومون بقراءة الفاتحة ودعاء قصير، ثم يعودون إلى خيامهم ويستمعون إلى تلاوة المولد وقراءة سير الصالحين، ويتمتعون بالهواء الطلق، كذلك كان أهل مكة يحتفلون بيوم مولد السيدة فاطمة الزهراء ~، وبمولد الإمام على –كرم الله وجهه–، ومولد ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما [(١)] ومما يجب التنويه والإشارة إليه؛ إلى أن الاحتفال بعيد مولد الرسول ﷺ ووالدته وزوجاته، أو بناته وأحفاده من البدع المحدثة في الدين؛ فلم يفعلها الرسول ﷺ، ولا الخلفاء الراشدون، ولا التابعون من بعدهم، وهم أعلم الناس بالسنة وأكملهم حبًّا للرسول ﷺ ومتابعة له ممن جاء من بعدهم.

الفصل الثالث: الاحتفال بليالي الوقود وبمولد الرسول ﷺ وال بيته – مناسبات دينية أخرى.

ولأهل مكة المكرمة احتفالات بليالي الوقود، ويقصد بها الاحتفال بأول رجب ونصفه، وأول شعبان ونصفه، وهي من الاحتفالات الشهيرة عند الفاطميين فيصفها المقريزي بقوله: "ليالي الوقود الأربع كانت من أبهج الليالي، وأحسنها، يحشر الناس لمشاهدتها من كل أوب، وتصل إلى الناس فيها أنواع من البرِّ، وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد"، فتضاء المساجد والمآذن والأسطح من الداخل والخارج، ويجتمع الناس للعبادة ومشاهدة الزينات والاستمتاع بها، وتفرد الموائد وتوزع عليهم أصناف المأكولات والمشروبات والحلويات[(٢)]، وتأثر أهل مكة

قرب مكة، ودفنت به. عام (٥١هـ/٦٧١م)، وكانت صالحة فاضلة. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٤٤٤-٤٧٣. الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٤٢*.

(١) هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج٢، ص٣٥٨-٣٦٠. السباعي: أخبار مكة، ص٢١٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٤٧. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٨. صبحي عبد المنعم: العلاقات بين الحجاز والفاطميين، ص٢٤٢- ٢٤٣.

بذلك تأثرًا شديدًا، ويظهر ذلك في احتفالهم بشهر رجب وشعبان.

فعند ثبوت رؤية هلال رجب؛ يأمر أمير مكة وشريفها، بضرب الطبول والأبواق، وتشرع أبواب الكعبة وتفتح طوال الشهر، ويخرج رجالات مكة حاملين الأسلحة فرسانًا ومترجلين، فالفرسان يلعبون بالأسلحة فوق صهوات جيادهم، والراجلون يتواثبون ويتبارون بالأسلحة في أيديهم، حِرابًا وسيوفًا ودروعًا، ....

وهم يظهرون فنونا من التطاعن والتضارب بالسيوف والمدافعة بالدروع، والآخرون يرمونها في الهواء ثم يلتقونها كنوع من أنواع الفنون والتسلية[١].

وعند خروج أمير وشريف مكة للاحتفال بالعمرة الرجبية؛ كان يخرج في موكب كبير محاط بجميع مناظر الأبهة والترف، فيصف ابن جبير موكبه وحاشيته بقوله: "والقواد والعسكر يحاوطونه وفق ترتيب ونسق معين، وأبناء الشريف أمامه، والطبول تُدق والرايات تُرفرف طوال الموكب"[٢]، ثم يصف فرحة أهل مكة قائلًا: "وأهل مكة بكل طبقاتها، والمعتمرون القادمون في زحام يتابعون المشهد، بل وحتى الأعراب الساكنون في نواحي مكة يَقدمون مع أجمل خيولهم، ويتسابقون بين يدي الأمير وهم يثنون عليه ويدعون له، حتى يصل للحرم"[٣].

وعند وصول موكب الشريف إلى الحرم؛ يرتفع صوت المؤذن بالثناء والدعاء له وتهنئته بالموسم، فيدخل الشريف ويطوف بالكعبه، ثم يصلي عند الملتزم، ثم يكمل عمرته ويسعى وهو على ظهر حصانه، وحرسه يحاوطونه في أُبَّهة عظيمة حتى يعود إلى منزله، ثم يدخل بعد ذلك المعتمرون ويشرعون في بداية عمرتهم[٤].

(١) خسرو: سفر نامة، ص١٣٤. ابن جبير: الرحلة، ص٧٠- ١٠٨.
(٢) ابن جبير: الرحلة، ص١٠٩.
(٣) ابن جبير: المرجع السابق، ص١٠٩.
(٤) ابن جبير: الرحلة، ١٠٩. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٤.

وأهل مكة يَعتبِرون العمرةِ في شهر رجب تعادل وقوف عرفة؛ لذا فإنهم يحتفلون به احتفالًا لا مثيل له، ويصف ابن جبير ذلك اليوم بقوله: "والعمرة الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية؛ لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يُسمع بمثله ويبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله ¸ فمن لم يشاهدها بمكة لم يشاهد مرأى ستهدى ذكره غرابة وعجبًا، شاهدنا من ذلك أمرًا يعجز الوصف عنه"[(١)].

أما عن استعدادت أهل مكة عند خروجهم للعمرة والذهاب إلى التنعيم؛ ميقات المعتمرين فيتحدث عنها قائلًا: "وكُلٌّ يتأنق ويحتفل قدر استطاعته، وترى الهوادج منتشرة في بطاح مكة وشعابها وتحتها الإبل قد زينت بأبهى أنواع الزينة، وبعد قضاء العمرة يذهب أهل مكة للسعي بين الصفا والمروة، رجالًا ونساءً فيزدحم المسعى بالساعين على أرجلهن، .....

والساعيات على هوادجهن، وفي تلك الليلة يتلألأ المسجد الحرام بالأنوار. وكانت العمرة تتصل في هذا الشهر كله، وتستمر معها احتفالات أهل مكة في الليل والنهار"[(٢)].

ويحتفل أهل مكة احتفالًا عظيمًا بيوم السابع والعشرين من شهر رجب، وقد وصف لنا ابن بطوطة تجهيزات أهل مكة في ليلة السابع والعشرين منه بقوله: "وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير والكتان الرفيع، كل أحد قد يفعل بقدر استطاعته، والجمال مزيَّنة مقلدة بقلائد الحرير وأستار الهوادج خافية تكاد تمس الأرض، فهي كالقباب المضروبة، ويخرجون إلى ميقات التنعيم، فتسيل أباطح مكة بتلك الهوادج، والنيران مشتعلة بجانبي الطريق، والشمع والمشاعل أمام الهوادج، والجبال تجيب بصداها هلال المهللين، فترى النفوس، وتهمل

---

(١) ابن جبير: المرجع السابق، ١٠٩.

(٢) ابن جبير: المرجع السابق، ص١٠٦-١١٠. ونرى أن تقاليد أهل مكة في شهر رجب قد بقيت كما هي في حديث ابن بطوطة رغم أنه عدى ما يقارب ١٥٠ عامًا بين الرحلتين. انظر: ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٣-١٢٤.

الدموع، فإذا قضوا العمرة وطافوا بالبيت خرجوا إلى الصفا والمروة والمسعى، متقد السرج غاص بالناس والساعيات على هوادجهنَّ، والمسجد الحرام يتلألأ نورًا"[(١)].

ويسمون العمرة في يوم السابع والعشرين من رجب بعمرة الأكمة؛ لأنهم يحرمون فيها من أكمة أمام مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها والأصل في هذه العمرة أنهم يحتفلون بذكرى بناء الكعبة أيام عبد الله بن الزبير، وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة في اليوم نفسه وعلى تلك الأكمة بعينها، ويقال إن هذه الليلة هي ليلة الإسراء والمعراج[(٢)].

وللنساء احتفال خاص بهن في يوم التاسع والعشرين من رجب، فيخرج جميع الرجال من المسجد الحرام، ويفرد البيت لهن فيجتمعن من كل صوب؛ مستعدات لهذا اليوم فلا تبقى امرأة في مكة إلا وقد حضرت المسجد الحرام، فيفتح الشيبيون لهن باب الكعبة ويسرعن بالدخول إليها، ...

ويصف ابن جبير ذلك بقوله: "فتبادر النساء الصعود إلى الكعبة، ويتسلسل بعضهن ببعض متشابكات حتى يكاد يقع بعضهن على بعض، وأثناء ذلك تجدهن صائحات مكبرات مهللات، ويكثرن من تقبيل الحجر الأسود واستلام الأركان، ويستمر الوقت المخصص لهن إلى قرب الظهر؛ ولذا فإن هذا اليوم يمثل أكبر أعيادهن؛ لذا يكثرن من الاستعداد والتأهب له".

وفي نهاية شهر رجب، وبعد خروج النساء من البيت الحرام؛ يقوم الشيبيون بغسل الكعبة وذلك؛ بسبب أن الكثير من النساء يدخلن أطفالهن معهن، فيتحرى غسله وتكريمه من أي نجاسة قد حدثت في المكان المقدس، وكان الناس عند غسله

---

(١) ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٤.
(٢) ابن جبير: الرحلة، ص١٠٧.
* والأكمة: هي التل الصغير، أو موضع يكون أكثر ارتفاعًا مما حوله، وجمعها: أكم وأكمات وآكام. مختار عمر: معجم اللغة العربية، ج١، ص١٠٨.*
هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة. أمير المؤمنين، أبو بكر ؛ وأبو خبيب، القرشي الأسدي المكي ثم المدني، أحد الأعلام، ابن عمة رسول الله ﷺ. مسنده نحو ثلاثة وثلاثين حديثًا، كان عبد الله أول مولود للمهاجرين بالمدينة. ولد سنة اثنتين، وقيل: سنة واحد للهجرة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٦٤.

رجالًا ونساءً يقومون بغسل أيديهم وأوجههم تبركًا به، والبعض الآخر يجمعها في أواني خاصة لهذا اليوم.[(١)]

وكان أهل البلاد المجاورة لمكة يحضرون؛ لأداء عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز"[(٢)] .

ويعتبر شهر شعبان أحد الشهور المباركة التي كان النبي ﷺ ' يكثر من الصوم والأعمال الصالحة فيه[(٣)] ، وكان لأهل مكة ليلة من هذا الشهر تسمى ليلة النصف من شعبان، وتعتبر من الليالي المعظمة والمشهورة عند المكيين، ويطلقون عليها ليلة البراءة، وليلة الدعاء، وليلة القسمة والإجابة، وليلة الشفاعة، وليلة الغفران والليلة المباركة؛ لاعتقادهم المطلق أن في هذا اليوم تكتب أعمال الناس للسنة القادمة. فيبادرون فيها منذ بداية هذه الليلة إلى صباح يوم الخامس عشر وهم في عبادة، والقيام بجميع أعمال البر من الطواف والصلاة والاعتمار جماعات وفرادى، ويجتمعون في المسجد الحرام بجميع مذاهبهم، ولكل مذهب إمام، ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل، وتبسط الحصر ويصلون مائة ركعة؛ يقرؤون في كل ركعة بأم القرآن وسورة الإخلاص، وقيل: يقرؤون في كل ركعة سورة حتى يختمون القرآن كله، وبعضهم يطوف بالكعبة المشرفة، وبعضهم يخرج للاعتمار؛ بقصد أن يمحو الله خطاياهم في هذا اليوم، ويدعون في هذا اليوم بدعاء مخصوص: "يا الله إن كنت كتبت في كتابك أني غير سعيد أو فقير فامسح اللهم بعنايتك عني يا كريم"[(٤)] .

وكان لأهل مكة إيمان خالص أن ماء زمزم؛ يفيض ويزيد في ليلة النصف

(١) ابن جبير: الرحلة، ص١١٥-١١٦.
(٢) ابن بطوطه: الرحلة، ص١٢٥.
(٣) البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص٣٨. الترمذي: سنن الترمذي، ج٣، ص١٠٥. صحيح مسلم، ج٢، ص٨١١. الألباني: محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، (الرياض ، مكتبة المعارف ، د. ت) ، ج١، ص٥٩٥.
(٤) الفاكهي: أخبار مكة، ج٣، ص٨٤-٨٧. ابن جبير: الرحلة، ص١١٩-١٢٠. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٦. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٣٢٢. هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج٢، ص٣٨٠.

من شعبان ويبكرون جميعهم رجالًا ونساءً حتى الأطفال إلى قبة ماء زمزم مهللين ومكبرين بصوت واحد. ويصف ابن جبير حالهم بقوله: "والسقاة يقذفون الماء على وجوه الناس، وهم في حالة من البكاء والدعاء والتضرع والتبرك بهذا الماء والليلة المباركة، وبعضهم يحتفظ بالقليل من ماء زمزم؛ لمعالجة مرضاهم؛ لشدة اعتقادهم ببركته في هذا اليوم"[١].

ومن المناسبات الدينية الأخرى التي كان يُقام لها احتفالٌ ويُحتفى بها هي مناسبة فتح باب الكعبة؛ فكانت أبواب الكعبة في الجاهلية تفتح كل يومي اثنين وخميس[٢].

فأقبل رسول الله ﷺ يومًا يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظ له عثمان بن طلحة القول، ونال منه، ولكن الرسول ﷺ بخلقه الكريم حلم عنه، ثم قال: ياعثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يومًا بيدي أضعه حيث شئت، فرد عثمان على الرسول ﷺ: "هلكت قريش يومئذ وذلت"، فقال الرسول ﷺ: "بل عمرت وعزت يومئذ"، ثم دخل عثمان الكعبة فوقعت كلمات الرسول ﷺ منه موقعًا وشعر بأن ما قاله الرسول ﷺ سيصير، فلما كان يوم فتح مكة قال الرسول ﷺ لعثمان بن طلحة ائتني بالمفتاح فلما جاء به دخل الرسول ﷺ الكعبة، وصلى فيها ركعتين، وعندئذ طلب العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب من الرسول ﷺ أن يجعل مفتاح الكعبة عندهما وقالا: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، وتطاول العباس يومئذ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم فرده الرسول ﷺ

قال تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء [٥٨] [٣]، وقال، أين عثمان بن طلحة؟ فعندما جاء قال له: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء،

(١) الفاكهي: أخبار مكة، ج٣، ص٨٤-٨٧. ابن جبير: الرحلة، ص١١٨-١٢١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٠٤.
(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٧٤. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ١٧٦.
(٣) سورة النساء، آية رقم: ٥٨.

خذوها خالدة مخلدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف"، وبعد أن ذهب عثمان بن طلحة ناداه الرسول ﷺ، فرجع إليه فقال له الرسول ﷺ، "ألم يكن الذي قلت لك؟ فقال عثمان: فتذكرت قوله لي بمكة يوم الهجرة، فقلت بل أشهد أنك رسول الله"(١).

واستمر فتح باب الكعبة خلال العصور الإسلامية، ولكن زِيد في عدد أيام فتحها؛ فأصبحت تفتح في يوم مولد الرسول ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وتفتح طيلة أيام شهر رجب، وفي بداية يوم شهر عيد الفطر، وفي الليالي الثماني الأول من شهر ذي الحجة من كل عام(٢).

وتعتبر الأيام التي يفتح فيها باب الكعبة الشريفة؛ من أجلِّ وأعظم الأيام عند المكيين والحجاج، فيتسابق الناس لرؤيتها والصلاة بها اقتداء بالرسول ﷺ ، ورغبة في نيل الأجر(٣).

وللكعبة مفتاح خاص لا يُعطى إلا لأسرة بني شيبة؛ يتوارثونها جيلا بعد جيل بأمر من الرسول ﷺ، منذ أن سلمها لهم، وفي يوم فَتحِها؛ يضعون أمام باب الكعبة سلمًا يصعد عليه سادن البيت من آل الشيبي، وهو الأكبر سنًّا من رجال الأسرة، يتميز بجمال الملبس والهيئة، وبيده مفتاح قفل باب الكعبة، ويرافقه عند قدومه خمسة، أو ستة أفراد، وعند صعوده يصعد بعده رجلان، ويرفعان ستارًا يحجب الشيخ وهو يفتح الباب، وعند فتحها يقوم بتقبيل عتبة الباب فتتعالى أصوات الناس بالدعاء والتكبير، ثم يدخلها الشيبي ويصلي بها، ثم يدخل الشيبيون من بعده، ثم يتوالى دخول الناس من بعدهم وهم يدعون: "اللهم افتح لنا أبواب

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٢٦٥-٢٦٧. الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص١٧٦-١٨٧.
(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٢٦٧. الفاكهي: أخبار مكة، ج١، ص١٧٩-١٨٣. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص١٩١-٢١١.
(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٢٦٧. الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٧٩-١٨٣.

رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين"[١].

وللكعبة الشريفة آداب عند دخولها منها: الاغتسال، ونزع الخف والنعل، وألا يُرفع البصر إلى السقف، وعدم المزاحمة زحمة يتأذى بها الإنسان، أو يُؤذِي غيره، وألا يُكلِم الداخل فيها أحدًا إلا لضرورة، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، وأن يُلزِم قلبه الخشوع والخضوع، وفي عينيه الدموع إن استطاع ذلك، والنساء يُساوين الرجال في دخولها من غير خلاف[٢].

ويصف ابن جبير الزحام الذي يحصل عند فتح باب الكعبة من الحجاج رجالًا ونساءً بقوله: "فظهر من تزاحمهم وتطارحهم على الباب الكريم، ووصول بعضهم على بعض، وسباحة بعضهم على رؤوس بعض؛ كأنهم في غدير من الماء، أمر لم يُر أهوَل منه يُؤدي إلى تلف المهج وكسر الأعضاء. وهم في خلال ذلك لا يبالون ولا يتوقفون، بل يُلقون بأنفسهم على ذلك البيت الكريم"[٣].

ويسترسل ابن جبير في القول واصفًا حجم وهول الزحام: "قد فُقِد منهم في ذلك المزدحم الشديد، من دنا أجله والله يغفر للجميع، وربما زاحمهم في تلك الحال بعض نسائهم، فيخرجن وقد نضجت جلودهن طبخًا في مضيق ذلك المعترك الذي حمي بأنفاس الشوق"[٤].

ويرى الحجاج أن دخول الكعبة؛ من المناسك المهمة التي يجب عليهم أداؤها، ولديهم في ذلك عادات غريبة، ومن جملتها ما وصفها ابن الجبير بقوله: "وإذا فُتح الباب الكريم فهم الداخلون بسلام؛ فتراهم في محاولة دخولهم يتسلسلون كأنهم بعض ببعض، مرتبطون يتصل منهم على هذه الصفة الثلاثون والأربعون إلى أزيد من

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٧٤. الفاكهي: أخبار مكة، ج٥، ص٢٣٣. خسرو: سفر نامة، ص١٣٤. ابن جبير: الرحلة، ص٧٠-١٤١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٠١- ١١٤. التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب، ص٣٠٠-٤٦٤. ابن ضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص١٠٣. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ١٧٦ -١٧٧. العقد الثمين، ج١، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٢٣٣-٢٣٤. شفاء الغرام، ج١، ص٢٢١.

وللمزيد عن آداب الدخول إلى الكعبة، انظر: جريدة البلاد، في العدد (١١٠٥٠) ليوم السبت ١٤١٥/٥/١٠ ه. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٠/ ٣٣٢).

(٣) ابن جبير: الرحلة، ص١٥٨-١٥٩.

(٤) ابن جبير: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

ذلك،

والسلاسل منهم يتسع بعضهم بعضًا، وربما انفصمت بواحد منهم يميل عن المطلع المبارك إلى البيت الكريم، فيقع الكل لوقوعه فيشاهد الناظر لذلك مرأى يؤدي إلى الضحك "[1].

أما التجيبي فيصف تلك العادات بقوله: "وأما دخولهم إلى البيت الشريف فمن أغرب ما يُرى أيضًا؛ لأن بعضهم يتماسك ببعض في حال الدخول، فيتصل منهم عدد كثير على هذه الصفة، وربما ازدحموا على أدراج البيت الشريف، فيسقط أحدهم، ويسقط بسقوطه جماعة، لتماسك بعضهم ببعض"، ولهم أيضًا عاداتهم الخاصة عند دخول البيت الشريف؛ فيلقون بأنفسهم على أركان البيت ونواحيه، ويتزاحمون على إدخال أياديهم في باب الكعبة وحلقتيه في ازدحام شديد[2].

ولم يقتصر الأمر على الحجاج فقط، فترى نساء مكة عند فتح باب الكعبة في شهر ذي القعدة يتزاحمن؛ للصعود إليها حتى لا يكاد الشيبيون أن يَخلصوا بينهن عند نزولهم من البيت الكريم؛ لتسلسل النساء بعضهن ببعض وتشابكهن، وإذا سقطن تجد منهن الصائحة والمُعَوِّلة، والمكبرة والمهللة، والله ينفعهن في ذلك بحسن النية والاعتقاد بمنه وكرمه"[3].

ومن المناسبات الدينية التي يجلها أهل مكة يوم الجمعة من كل أسبوع؛ لما اختصه الله من مزايا كانت سببًا في وجوب تعظيم هذا اليوم عند المسلمين عامة، واتخاذه عيدًا من أعيادهم التي شرع الله فيها من المناسك ما لم يشرع في غيرها. قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱ

(١) المرجع السابق، ص ١١١-١١٢.
(٢) التجيبي: المستفاد، ٢٦٧.
(٣) ابن جبير: الرحلة، ص١١٦.

لِلَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ الجمعة [٩، ١٠][١]

وقال ﷺ: "خيرُ يومٍ طلَعَت عليه الشَّمسُ يومُ الجمعة؛ فيه خُلِق آدَمُ، وفيه أُهبِط، وفيه مات، وفيه تِيبَ عليه، وفيه تقومُ السَّاعةُ، وما مِن دابَّةٍ إلَّا وهي مُصِيخةٌ يومَ الجمعةِ مِن حينِ تُصبِحُ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ شفَقًا مِن السَّاعةِ إلَّا الجِنَّ والإنسَ، وفيه ساعةٌ لا يُصادِفُها عبدٌ مسلمٌ وهو يُصلِّي يسأَلُ اللهَ شيئًا إلَّا أعطاه إيَّاه"[٢].

ولهذا اليوم مراسم دينية خاصة عند أهل مكة منذ عصر الرسول ﷺ، فكان أهل مكة يحرصون على الاغتسال في هذا اليوم بغسل رؤوسهم بالسدر ودهنها، ثم يلبسون أفضل الألبسة، ويتطيبون بالمسك والعنبر، أو بالعود الهندي مع الكافور كما كان يفعل رسول الله ﷺ، ويرسل بعض الأسر مواليهم ليحجزوا لهم مكانًا في مقدمة صفوف المسجد[٣].

ومع بزوغ شمس يوم الجمعة؛ يفتح باب الكعبة المشرفة، ثم يصعد سادن البيت من آل الشيبي وبيده مفتاح قفل باب الكعبة، فاذا فتحها قبل العتبة، ودخلها ليصلي بها ركعتين، ثم يدخل الشيبيون من بعده، ثم يتوالى دخول الناس من بعدهم وهم يدعون: (اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين)[٤].

وعند اقتراب وقت الصلاة؛ يلصق المنبر بالكعبة المشرفة بين الحجر الأسود والركن العراقي، وعند وصول خطيب المسجد الحرام؛ يُعلن عن وصوله بفرقعة بالهواء لها صوت عالي يسمعه من كان داخل الحرم أو خارجه. ثم يدخل الخطيب من باب النبي ﷺ وهو مرتدٍ ثوبًا أسود وعمامة سوداء، وبجانبه رجلان حاملان أعلامًا سوداء

(١) سورة الجمعة، آية: ٩-١٠.
(٢) صحيح مسلم، ج٢، ص٥٨٥-٦٠٠. سنن أبي داود، ج١، ص٢٧٤. سنن الترمذي، ج٢، ص٣٥٩.
(٣) صحيح البخاري، ج٢، ص٢-٤. صحيح مسلم، ج٢، ص٥٨٥-٦٠٠. سنن أبي داود، ج١، ص و٢٧٤. سنن الترمذي، ج ٢، ص٣٥٩.
الزويد: التطور التاريخي للأسرة في الحجاز، ص٣٢١.
(٤) خسرو: سفر نامة، ص١٣٤. ابن جبير: الرحلة، ص٧٠. التجيبي: المستفاد، ص٣٠٠-٤٦٤. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٠١.

(شعار العباسيين)، وعليه السكينة والوقار ممسكًا بسيفه، فيدخل ويسلم على الحجر الأسود، ثم يصعد إلى درجات المنبر ضاربًا كل درجة بضربات يسمعها الحاضرون حتى يصل إلى أعلاه، وعندئذ تُثَبت الرايتان السوداوان على جانبي المنبر، ويبدأ الخطيب بدعاء خفي مستقبلًا الكعبة، ثم يسلم على الناس الذين عن يمينه وشماله، ويجلس ويؤذن المؤذن في أعلى قبة زمزم، فإذا فرغ من الأذان؛ خطب الخطيب خطبة الجمعة، وفي آخرها يكثر من الصلاة على النبي ﷺ، ويترضى عن الخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة، وبنات وزوجات الرسول ﷺ، ثم خليفة المسلمين العباسي وأمير مكة من بعده، وعند نهاية الخطبة؛ ينصرف والرايتان عن يمينه وشماله والفرقعة أمامه إشعارًا بانقضاء وقت الصلاة، ثم يُعاد المنبر إلى مكانه[(١)].

وكان خطباء مكة يعانون من الشمس حين تقام خطبة الجمعة، فقام أمير مكة: عبد الله الطلحي، وعمل مظلة للمؤذنين التي على سطح المسجد؛ يؤذن فيها المؤذنون يوم الجمعة والإمام على المنبر، وفي خلافة جعفر المتوكل على الله عام (٢٤٠هـ/٨٥٤ م)، هدمت تلك المظلة ثم أعيد بناؤها[(٢)]. وتحرص بعض الأسر على دعوة الجيران والأقارب لديها؛ لتناول الغذاء في يوم الجمعة[(٣)]، ويعتقد أهل مكة اعتقادًا خالصًا ببركة هذا اليوم، ومن شدة بركته؛ أن ماء زمزم يفيض ويزيد فيه[(٤)].

(١) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٩٩. الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٠٥. ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٣٤. ابن جبير: الرحلة، ص٧٢-١١٨. التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب، ص٣٠٠-٤٦٤. ابن بطوطة: الرحلة، ص ، ١٠١- ١٢٣.
* والفرقعة: عبارة عن عود مخروط أحمر، في رأسه مرس من الأديم المفتول (من الجلد) رقيق طويل، في طرفه عذبة صغيرة ينفضها الإنسان بيده في الهواء فتأتي بصوت عالي. ابن جبير: الرحلة، ٧٢-٧٣. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص١٠*.
(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٩٩. الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٠٥.
*هو أمير مكة: عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد السجاد بن طلحة القرشي التميمي، في عهد الخليفة هارون الرشيد، تولى قضاء مكة المكرمة والمدينة المنورة بأمر من الخليفة المهدي العباسي، والخليفة هارون الرشيد من بعده. الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٤١٧-٤١٨.
(٣) الزويد: الأسرة في الحجاز، ص٣٢١.
(٤) ابن جبير: الرحلة، ص١١٨. ابن بطوطة: الرحلة، ص ، ١٠٤.

عادات أهل مكة في صلاة الاستسقاء.

صلاة الاستسقاء لغة: هي طلب السقيا، أي؛ إنزال الغيث على البلاد والعباد[(١)].

واصطلاحًا: هو طلب إنزال المطر من الله بكيفية مخصوصة عند الحاجة إليه[(٢)].

وحكمها: سنة مؤكدة سواء كان بالدعاة والصلاة، أم بالدعاء فقط، وقد فعلها الرسول ﷺ ، وصحابته، والمسلمون من بعدهم، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن الناس قد قحطوا في زمن رسول الله ﷺ فدخل رجل من باب المسجد ورسول الله يخطب فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي وخشينا الهلاك على أنفسنا فادع الله أن يسقينا، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: "اللهم اسقنا مغيثًا هنيئًا مريئًا غدقًا عاجلًا غيرَ رائث" فقال الراوي: ما كان في السماء قزع؛ فارتفعت السحاب من هنا ومن هنا حتى صارت ركامًا، ثم مطرت سبعًا من الجمعة إلى الجمعة، ثم دخل ذلك الرجل والنبي ﷺ يخطب والسماء تسكب، فقال يا رسول الله، تهدم البنيان وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكه، فتبسم الرسول ﷺ ؛ لملالة بني آدم، قال الراوي: والله ما نرى في السماء خضراء، ثم رفع يديه فقال: "اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، فانجابت السماء على المدينة حتى صارت حولها كالإكليل، وتقام في الحضر أو في السفر، في الصحراء أو في البحر؛ لأنها من التعاون على البر والتقوى[(٣)].

وكان لأهل مكة عادات خاصة في هذا اليوم، فإذا أصابهم قحط؛ يلجؤون إلى صلاة الاستسقاء بالحرم، ويصومون ثلاثة أيام قبلها، وفي اليوم الرابع؛ يجتمعون في الحرم، ويقومون بإخراج المصحف المكتوب بخط الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه، والذي نُسخ عام ثماني عشرة من الهجرة، ثم يضعوه على القبة المباركة ومقام إبراهيم عليه السلام.

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٣٩٣.
(٢) القحطاني: سعيد بن وهف، صلاة الاستسقاء - مفهوم، وأسباب، وأنواع، وآداب، وآيات، وحِكَمٌ، وأحكامٌ في ضوء الكتاب والسنة، (الرياض: مطبعة السفير، ١٤٢٣ ه/٢٠٠٢م) ص٥-٧، ٢٩.
(٣) صحيح البخاري، ج٢، ص٢٦-٣٣، ج٤، ص١٩٥.

ثم ينادى: الصلاة جامعة، فيصلي الإمام ركعتين؛ يقرأ في الركعة الأولى سورة الأعلى، والثانية سورة الغاشية، وبعد الانتهاء من الصلاة؛ يصعد المنبر ويخطب في الناس ويحثهم على الاستغفار والدعاء والتوبة، والناس كاشفون رؤوسَهم داعون متضرعون متوسلون بالمصحف العزيز والمقام الشريف، وتعاد الصلاة أحيانًا لمدة ٣ أيام متتالية [(١)].

ووجب التنويه إلى أن التوسل بغير الله تعالى شرك، ومنافٍ تمامًا للتوحيد؛ فيجب الحذر من هذه الأمور وعدم الخوض فيها، وطلب المعونة من الله بطريقة مباشرة، وعدم اتخاذ شفعاء أو وسطاء من دونه تعالى لجلب منفعة أو دفع مضرة.

وكان أهل مكة في حالة سقوط المطر على الكعبة يقفون متجردين من ثيابهم تحت الميزاب؛ للاستحمام بالماء النازل منه، ويتزاحمون عليه زحامًا شديدًا، ويدعون الله ويبكون ويتضرعون، والنساء يدمعن حزنًا؛ لرغبتهن في المشاركة، وكان بعض الحجاج يتأثر من منظر النساء؛ فيأخذ ثوبه ويبلله بهذا الماء ويخرج إليهن، ويعصره على أيدي بعضهن فيشربوه ويمسحن على وجوههن وأبدانهن، وبعضهن يملأن أواني من هذا الماء؛ للتبرك به، والبعض الآخر يَطُفن حول الكعبة وتحت الأمطار، ويتلون القرآن ارتجاءً ببركة المكان والأمطار، ونيل المغفرة [(٢)].

الخاتمة:

نتجت عن هذه والتي هي بعنوان " الاحتفالات والمناسبات الدينية في مكة المكرمة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ /٧٥٠-١٢٥٨م)" عادات اهل مكة في الأعياد والمناسبات الدينية في وتقاليدها المختلفة عن باقي المدن، وكيف

(١) ابن جبير: الرحلة، ص٨٠-٨١. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٠٥. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ٥٤٧.
هو زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي، شيخ المقرئين مفتي المدينة، حدث عن النبي ﷺ ، أسلم يوم هاجر الرسول ﷺ وهو بعمر الحادية عشرة، فأمره النبي ﷺ بتعلم خط اليهود؛ ليقرأ له كتبهم، ومن مناقبه: أن الصِّديق اعتمد عليه في جمع القرآن العظيم في صحف، فجمعه من كل مكان، وطلب منه عثمان بن عفان أن يقوم بكتابة المصحف على النحو الذي هو به الآن، ولم يبق بأيدي الأمة قرآن سواه، مات عام ٤٥ ه عن عمر يناهز ٥٦ عامًا. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٢٦-٤٤١. العصامي: سمط العوالي، ج٢، ص١٠.
(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٢١. الفاكهي: أخبار مكة، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠. ابن جبير: الرحلة، ص٩٥. السبتي: ملء العيبة، ص٨٤. التجيبي: المستفاد، ٢٨١-٢٨٢. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٢٣٦.

كانت يحتفلون بها في القرون الأولى الهجرية، وكيف تأثروا واصبحوا يحتفلون بمناسبات مختلفة؛ متأثرين بالفاطميين أصحاب المذهب الشيعي –أثناء نفوذهم على الحجاز– (٣٥٨هـ- ٩٦٨م/٥٦٧هـ-١١٧١م)وكيف قام الفاطميون بنقل عاداتهم وتقاليدهم ومذاهبهم وتراثهم إلى المنطقة؛ فاستحدثوا فيها احتفالات لم يعرفها المكيون من قبل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر:

١–ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢–الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي الغساني المكي، (ت: ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي ملحس، مكة المكرمة: مكتبة الثقافة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ط١١.

٣–ابن إياس، محمد أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (ت: ٩٣٠ هـ)، تحقيق: محمد مصطفى، مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع، د.ت.

٤–البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٥–ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، (ت: ٧٧٩ هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، بيروت: دار الشرق العربي، د.ت.

٦–البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: ٢٧٩ هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهل زكار، رياض الزركلي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦.

٧–التجيبي القاسم بن يوسف، (ت: ٧٣٠ هـ)، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ليبيا – تونس: دار الكتب العربية، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م.

٨–الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى، (ت: ٢٧٩هـ)، جامع الترمذي (سنن

الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م)، ط٢.

٩-ابن تغردي البردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، (ت:٨٧٤ هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.

١٠-ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي، (ت: ٦١٤ هـ)، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة "بالرحلة "، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م.

١١-خسرو أبو معين الدين ناصر الحكيم القبادياني المروزي، (ت: ٤٨١ هـ)، سفر نامة، تحقيق: يحيى الخشاب، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م، ط٣.

١٢-أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجِسْتاني، (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية، د. ت.

١٣-الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤١٣هـ، ط٩.

١٤-السبتي، محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري، (ت: ٧٢١ هـ)، ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة، تحقيق: محمد الحبيب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

١٥-ابن ضياء، أبو البقاء محمد بن احمد المكي الحنفي، (ت: ٨٥٤ هـ)، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن الأزهري، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م.

١٦-العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، (ت: ١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في معرفة الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م.

١٧-الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني، (ت: ٨٣٢هـ)،

أ-شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م)، ط٢.

ب-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٨–الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس المكي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، بيروت: دار خضر، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م، ط ٢.

١٩–ابن فهد، عمر بن محمد، (ت: ٨٨٥ هـ)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مصر: مكتبة الخانجي، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م، ط٣.

٢٠–القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، (ت: ٨٢١ هـ)،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ١٩٦٣م /١٣٨٣هـ.

٢١–ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م، ط١.

٢٢–المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، (ت:٣٨٠ هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الولايات، القاهرة: مكتبة المدبولي، ١٤١١ هـ/١٩٩١ م.

٢٣–المقريزي، أحمد بن علي، (ت: ٨٤٥ هـ)،

ب–إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، محمد حلمي، محمد أحمد، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦، ط٢.

ج–المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

٢٤–ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الروي الإفريقي، (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ط٣.

٢٥–النويري أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي، (ت: ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

٢٦–النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، (صحيح مسلم)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

ثالثًا: المراجع:

١–البتنوني، محمد لبيب، (١٣٢٩هـ/١٩١١م)، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس بن حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مصر: مطبعة الجمالية، ط٢.

٢–بدوي، أحمد زكي، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م)، معجم مصطلح العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان.

٣–الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، (١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م)، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٥.

٤-الزويد، هدى فهد، (١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م)، التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

٥-السباعي أحمد، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع.

٦-سنوك هورخرونيه، (١٤١٩ هـ/١٩٩٩م)، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية: علي الشيوخ، تحقيق: محمد السرياني ومعراج مرزا، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.

٧-بدرشيني، أحمد هاشم، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

٨-عمر، أحمد مختار، (١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، ط١.

٩-القحطاني، سعيد بن وهف،

أ-مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، القصب: مركز الدعوة والإرشاد، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠ م، ط٢.

ب-صلاة الاستسقاء - مفهوم، وأسباب، وأنواع، وآداب، وآيات، وحِكَمٌ، وأحكامٌ في ضوء الكتاب والسنة، الرياض: مطبعة السفير، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

١٠-ماجد، عبد المنعم، (١٣٧٤ /١٩٥٤ م)، السجلات المستنصرية للخليفة المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة: دار الفكر العربي.

١١-المالكي، سليمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٣٨م)، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الرياض: مطبوعات دار الملك عبد العزيز.

١٢-محمد، صبحي عبد المنعم، (١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م)، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

خامسًا: الدوريات:

١-ابن باز، جريدة البلاد في العدد (١١٠٥٠) ليوم السبت ١٠ / ٥ / ١٤١٥ هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٠/ ٣٣٢).